

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة
التواضع

٢٨ أغسطس ٢٠٢٦

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

فَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَمَا جَعَلَنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ أَنْ يَجْمَعَنَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

أُنَبِّهُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الْإِخْوَةِ إِذَا كَتَبَ اسْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ بِالرَّمْزِ (ص) وَهَذِهِ آفَةٌ قَدِيمَةٌ قَدْ نَبَهَ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ الْأَوَّلُونَ، كَالْإِمَامِ السَّخَاوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَالُوا: إِذَا كَتَبَ الْإِنْسَانُ اسْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِمَّا أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ كِتَابَةً، فَيَكْتُبَهَا كَامِلَةً: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ يَكْتُبُ: عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَوْ يَكْتَفِي بِأَنْ يَنْطِقَ بِهَا لَفْظًا، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَمَّا أَنْ يَكْتُبُ: (ص)، أَوْ: (صلعم)، كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ إِذَا ذُكِرَ اسْمُ الصَّحَابِيِّ يَكْتُبُ: (رض)، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَكْتُبُ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَيَكْتُبُ: رَأً ضَادًّا، فَلَيْسَ هَذَا صَنِيعَ طَلِبَةِ الْعِلْمِ الْفَضْلَاءِ. بَلْ أَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَلْتَزِمَ بِهِ: الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَمَنْ الْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا ذُكِرَ أَنْ يُذَكَّرَ بِالتَّقْدِيرِ وَالْإِجْلَالِ، فَيَقُولُ: اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، أَوْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَوْ اللَّهُ تَبَارَكَ اسْمُهُ، أَوْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَإِذَا ذُكِرَ اسْمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُتَبَّعَهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

وَكَذَلِكَ إِذَا ذُكِرَ الصَّحَابَةُ لَا بُدَّ أَنْ يُرَضَّى عَنْهُمْ، وَإِذَا ذُكِرَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ فَيُتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: قَبِيحٌ بِكُمْ أَنْ تَنْقُلُوا عَنَّْا وَلَا تَتَرَحَّمُوا عَلَيْنَا، فَإِذَا ذُكِرَ اسْمُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَلَا بُدَّ أَنْ تَقُولَ: رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

تَنْبِيهِ آخِرٍ وَهُوَ أَنَّ خُفُولَ الْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ، كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يُرَدِّدُ الدَّرْسَ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، فَثَلَا سُلْطَانُ الْعُلَمَاءِ
 الْإِمَامُ الْعَزِيزُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، ذَكَرُوا عَنْهُ بِأَنَّهُ كَانَ يُرَدِّدُ الدَّرْسَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهُ عَلَى النَّاسِ، فَلَيْسَ مِنَ
 الْعَيْبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُرَدِّدُ الشَّيْءَ حَتَّى يَرْتَحِّ، وَكَأَنَّ قَالَ عَلَمًا: مَا ثَبَّتَ نَبْتَ، فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَحْفَظُ حِفْظًا سَرِيعًا أَوْ
 حِفْظًا تَجَارِيًا، سَرْعَانَ مَا يَنْسَى، لَكِنْ لَوْ أَنَّهُ تَأَنَّى وَكَرَّرَ فَمَا يَكَادُ يَنْسَى، وَلَوْ أَنَّهُ نَسِيَهُ سَرْعَانَ مَا يَسْتَعِيدُهُ؛ وَلِذَلِكَ
 كَرَّرُوا وَلَا تَيَأْسُوا، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُ أُمِّ مَعْبِدٍ عِنْدَكُمْ كَفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. لَقَدْ مَدَحَ رَبُّنَا جَلَّ
 جَلَالُهُ الْمُتَوَاضِعِينَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ:

سورة الفرقان — آية ٦٣

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

هَوْنًا الْمُتَوَاضِعُونَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا، وَفِي مُقَابِلِ هَوْنًا يَقُولُ لِقَمَانٍ لِابْنِهِ:

سورة الإسراء — آية ٣٧

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَمَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَمْشِي مُتَبَخَّرًا يَنْظُرُ فِي عِطْفِيهِ، مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ، وَكُلَّمَا أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ
 تَرَابٍ تَضَجَّرَ. نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ!

وَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا تَكَلَّمَ لَا يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مَظَاهِيرُ مِنْ مَظَاهِيرِ الْكِبَرِ الْمَذْمُومَةِ، وَكَأَنَّ الْقَائِلُ:

يَا مُظْهِرَ الْكِبَرِ إِعْجَابًا بِصُورَتِهِ، انْظُرْ خَلَائِكَ فَإِنَّ النَّتْنَ تَثْرِيْبُ

لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ، مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبَرُ شُبَّانًا وَلَا شَيْبًا

فَلَوْ تَفَكَّرَ الْإِنْسَانُ بِمَا فِي بَطْنِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ وَالْقَاذُورَاتِ مَا كَانَ أَبَدًا سَيَشْعُرُ بِالْكِبَرِ، وَكَأَنَّ قَالَ الْآخِرُ: عَجِبْتُ لِابْنِ
 آدَمَ كَيْفَ يَتَكَبَّرُ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي تَنْتَنُهُ عَرَقُهُ، وَتُؤْذِيهِ بَقَّةٌ، وَتَقْتُلُهُ شَرْقَةٌ، أَوَّلُهُ نَطْفَةٌ مَذْرُوءَةٌ، وَآخِرُهُ جِيْفَةٌ قَذْرَةٌ،
 وَهُوَ مَا بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ يَحْمِلُ فِي جَوْفِهِ الْعَذْرَةَ.

فَالْإِنْسَانُ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَبَدًا أَنْ يَتَكَبَّرَ، بَلِ الْمَفْرُوضُ أَنْ يَتَوَاضَعَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

(إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

رَأَوِيهِ: أَبُو كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(ثَلَاثَةٌ أَقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) الْحَدِيثُ

فَالْإِنْسَانُ الْمُتَوَاضِعُ يَرْفَعُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْمُتَكَبِّرُ يَضَعُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلِذَلِكَ ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

(أَنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ يَطْوُهُمُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ)

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُتَنَفِّخِينَ، وَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَشْمَخُ بِأَنَفِهِ، فَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحْشَرُ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ، وَالنَّاسُ يَدُوسُونَهُ.

وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لَنَا أَمْثَلَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ أَمْثَالِ فِرْعَوْنَ الَّذِي قَالَ:

سورة غافر — آية ٢٩

﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾

وَمِثْلُ قَارُونَ الَّذِي قَالَ:

سورة القصص — آية ٧٨

﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾

وإِبْلِيسَ الَّذِي قَالَ:

﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾

وَأَيُّ لَهَبٍ وَأَمْتَالِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا جَعَلَهُمُ اللَّهُ عِبْرَةً لِلْآخِرِينَ، فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ كُنْ مُتَوَاضِعًا. مَعْنَى التَّوَاضُّعِ: وَكَلِمَةُ تَوَاضَّعٌ بِمَعْنَى تَفَاعُلٍ، وَهِيَ مَأْخُودَةٌ مِنْ مَادَّةٍ: وَضَعُ، وَالضَّعَّةُ، وَلَهَا مُرَادِفَاتٌ تَخْفِضُ الْجَنَاحَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وَقَالَ بِالنِّسْبَةِ لِلْوَالِدَيْنِ:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾

أَيُّ: تَوَاضَعَ مَعَ وَالِدَيْكَ، فَلَا تَجْلِسْ وَوَالِدُكَ قَائِمٌ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ، وَلَا تَرُقْ سَطْحًا هُوَ تَحْتَهُ، وَلَا تَرْفَعْ عَلَيْهِ صَوْتًا، وَلَا تُشِرْ إِلَيْهِ بِأَصْبِعِكَ وَأَنْتَ تُتَكَلَّمُ، بَلْ كُنْ دَائِمًا مَعَ وَالِدِكَ مُتَوَاضِعًا ذَلِيلًا، قَبْلَ رَأْسِهِ، قَبْلَ يَدَيْهِ، قَبْلَ رِجْلَيْهِ، اخْفِضْ صَوْتَكَ عِنْدَهُ، أَطِيعْ أَمْرَهُ، نَفِذْ طَلَبَهُ، وَمِنْ بَابِ أَوَّلَى مَعَ الْوَالِدَةِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ حَقًّا مِنَ الْوَالِدِ.

فَالْتَوَاضَعُ مَأْخُودٌ مِنْ مَادَّةٍ: الْوَاوِ وَالضَّادِ وَالْعَيْنِ، قَالُوا فِي تَعْرِيفِهِ: أَنْ تَقْبَلَ الْحَقَّ مِمَّنْ صَدَرَ، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا، وَلَوْ كَانَ ضَعِيفًا، فَأَيُّ إِنْسَانٍ أَرَشَدَكَ إِلَى الْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ تَقْبَلَ إِرْشَادَهُ، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْإِرْشَادُ صَادِرًا مِمَّنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْكَ سِنًا أَوْ أَقَلُّ مِنْكَ عِلْمًا أَوْ شَأْنًا، فَتَقْبَلُ الْحَقَّ مِمَّنْ صَدَرَ.

وَقِيلَ: هُوَ إِظْهَارُ التَّنَزُّلِ عَنِ الْمُرْتَبَةِ لِمَنْ يُرَادُ تَعْظِيمُهُ؛ وَلِذَلِكَ مِنْبَرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ، وَقَفَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَوَقَّفَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَوَقَّفَ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى. وَمِثَالُ آخَرٍ فِي شَأْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِي كَانَ يَحْكُمُ الدُّنْيَا، قَالَ لَهُ بَعْضُ النَّاسِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ أَبُو بَكْرٍ؟ فَبَكَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لِلَّيْلَةِ لِأَيِّ بَكْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَارِ خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ، يَا لَيْتَنِي شَعْرَةٌ فِي صَدْرِي أَبِي بَكْرٍ، كَانَ أَبُو بَكْرٍ هَادِيًا مَهْدِيًا أَطِيبَ مِنْ رِيحِ

الْمِسْكُ، وَأَنَا أَضَلُّ مِنْ بَعِيرِ أَهْلِهِ، وَهَذَا مِنْ تَوَاضُعِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ لِكَيْ لَا يُقَالَ: إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ تَمَلُّقًا، وَإِنَّمَا قَالَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ، وَمَا عَادَ أَبُو بَكْرٍ يَمْلِكُ لِعُمَرَ شَيْئًا.

وَكَذَلِكَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَتَوَاضَعُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ: لَا أُوتَى بِرَجُلٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ حَدَّ الْمُفْتَرِي، وَحَدَّ الْمُفْتَرِي ثَمَانُونَ جَلْدَةً، فَلَوْ سَمِعْتَ إِنْسَانًا يَقُولُ: عَلِيٌّ أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ يَجْلَدُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً فِي ظَهْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَوَاضُعِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِذَا: فَالتَّوَاضُّعُ هُوَ: إِظْهَارُ التَّزَلُّلِ عَنِ الْمَرْتَبَةِ لِمَنْ يَرَادُ تَعْظِيمُهُ، وَقِيلَ: هُوَ تَعْظِيمُ مَنْ فَوْقَهُ لِفَضْلِهِ، وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ لِلْحَقِّ وَتَرْكُ الْإِعْتِرَاضِ فِي الْحُكْمِ، وَلَعَلَّ التَّعْرِيفَ الْأَخِيرَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَدَارِجِ السَّالِكِينَ هُوَ الَّذِي يُنَاسِبُ التَّعْرِيفَ النَّبَوِيَّ لِلْكِبَرِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ أَحَدَنَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَرِ، الْكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)

وَفِي رِوَايَةٍ: (وَعَمَّصُ النَّاسِ)، وَبَطْرُ الْحَقِّ: رُدُّهُ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ، وَيَقُولُ لِلْمُتَكَلِّمِ: اسْكُتْ، أَوْ دَعْنَا مِنْ هَذَا.. وَنَحْوَ ذَلِكَ، هَذَا هُوَ الْكِبَرُ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ!

فَبَطْرُ الْحَقِّ: رُدُّهُ، وَغَمْطُ النَّاسِ: اخْتِقَارُهُمْ. يَفْتَحُ التَّحْقِيقُ فَتَشْهَدُ النِّسْوَةُ:

سورة يوسف — آية ٥١

﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾

وَالْمَرْأَةُ صَاحِبَةُ الْمَكِيدَةِ قَالَتْ:

سورة يوسف — آية ٥١

﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا﴾

أَنَا السَّبَبُ، أَنَا الْمُتَهَمَةُ، أَنَا الْمُخْطِئَةُ، أَنَا الْمُتَعَدِيَةُ.. نَخْرُجُ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَوْ كُنْتُ أَنَا مَكَانَ يَوْسُفَ وَلَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يَوْسُفُ، ثُمَّ دُعِيْتُ لِأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَهَذَا مِنْ تَوَاضُعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَاضَعُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَتَوَاضَعُ مَعَ الصِّغَارِ، وَيَتَوَاضَعُ مَعَ الْكِبَارِ، وَيَتَوَاضَعُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَمِنْ تَوَاضُعِهِ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ مُخْتَلِطًا بِأَصْحَابِهِ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، حَتَّى إِنْ الدَّخِلَ إِلَى الْمَسْجِدِ إِذَا كَانَ مُسْلِمًا جَدِيدًا، يَقُولُ: أَيُّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ؟ لِأَنَّهُ لَا يُمَيِّزُ عَلَى الصَّحَابَةِ بِلِبَاسٍ أَوْ بِشَعَارٍ، حَتَّى اضْطَرَّ الصَّحَابَةُ أَنْ يَبْنُوا لَهُ دُكَّانًا، -وَالدُّكَّانُ: هُوَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ- يَجْلِسُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ هَذَا الْجَالِسَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا هَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، دَخَلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى جَنْبِهِ، وَلَمْ يَكُنْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ.. وَلَكِنْ لَا يَدْرُونَ أَيُّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: حَتَّى زَالَ الظِّلُّ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَحَلَ رِدَاءَهُ وَظَلَّلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا: فَعَرَفْنَا أَنَّ الْجَالِسَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ مُخْتَلِطًا بِهِمْ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، وَمَا رُبِّي مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيَّ جَالِسٍ لَهُ، فَكَانَ لَا يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْبَطْرِ أَبَدًا، وَلِلْأَسَفِ تَجِدُ الْآنَ بَعْضَ النَّاسِ مِمَّنْ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ أَنَا طَالِبُ عِلْمٍ، يَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ، وَتَجِدُ بَعْضَ الشُّيُوخِ الْكِبَارِ مِنَ الطَّاعِنِينَ فِي السِّنِّ يَدْرُسُ، وَهَذَا الشَّابُّ قَدْ مَدَّ رِجْلَيْهِ، وَكُلَّ فِتْرَةٍ يَلْعَبُ بِهِمَا، وَإِذَا قِيلَ لَهُ: يَا أَخِي! تَوَاضَعْ، وَتَأَدَّبْ فِي جِلْسَتِكَ، فَيَقُولُ: لَيْسَ عِنْدَنَا أَوْثَانٌ وَتَقْدِيرٌ لِلنَّاسِ، كُلُّنَا سَوَاءٌ، فَهَذَا مُخْبَلٌ، لَا يَعْرِفُ الْأَدَبَ الْوَاجِبَ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ.

أَمَّا سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا رُبِّي مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيَّ جَالِسٍ لَهُ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانَ إِذَا حَدَّثَهُ أَحَدُ النَّاسِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَأَنْصَتَ لَهُ، حَتَّى يَرَى الْجَالِسَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَذِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَقْبَلَ عَلَى وَاحِدٍ وَيُهْمِلَ الْبَاقِينَ، وَإِنَّمَا يُعْطِي كُلًّا نَصِيبَهُ مِنْ حَدِيثِهِ وَوَجْهِهِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

تَوَاضَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِجَابَتِهِ لِلدَّعْوَةِ وَرُكُوبِهِ الْحِمَارِ

وَفِي طَعَامِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَقُولُ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

(إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ)

وَكَانَ مِنْ تَوَاضُعِهِ: أَنَّهُ يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ، يَقُولُ أَنَسٌ: (دَعَنَهُ جَدَّتِي مُلَيْكَةُ لَطْعَامِ صَنَعَتُهُ)، فَكَانَ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْمُسْكِينِ، فَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَرُبَّمَا دُعِيَ إِلَى إِهَالَةِ سِنَخَةٍ، وَالْإِهَالَةِ: هِيَ مَرَقٌ قَدْ تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ مِنْ طُولِ مَا مَكَثَ، فَيُجِيبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ.

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

رَأَوِيهِ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(دَعَنَهُ جَدَّتِي مُلَيْكَةُ لَطْعَامِ صَنَعَتُهُ فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: قَوْمُوا، فَأَصْلِي لَكُمْ، يَعْنِي: مِنْ أَجْلِ الْبَرَكَةِ، أَصْلِي فِي مَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ أَنَسٌ: فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدْ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لَيْسَ -يَعْنِي: مِنْ طُولِ مَا وَطِئَ- فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَفَفْتُ أَنَا وَالْيَتِيمُ وَرَاءَهُ وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ)

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَكَانَ اسْمُ حِمَارِهِ عَفِيرًا أَوْ يَعْفُورًا، وَاسْمُ نَاقَتِهِ الْقَصُوءَاءَ، وَاسْمُ بَعْلَتِهِ دُلْدُلٌ، أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُقَوْسُ حَاكِمُ مِصْرَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ.

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ مَعَ الصِّغَارِ: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا مَرَّ عَلَى الصِّبْيَانِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَمَسَحَهُمْ، يَعْنِي يَمْسَحُ عَلَى رُءُوسِهِمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانَ الصَّبِيُّ السَّعِيدُ الَّذِي يَمْسَحُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِهِ يُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ بِرَأْحَةِ الْمِسْكِ فِي رَأْسِهِ. وَمِنْ تَوَاضُعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

رَأَوِيهِ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(وَاللَّهِ لَقَدْ حَبَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرَضَانًا، وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ)

(كَانَ يَعُودُ مَرَضَانًا): فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ مَرِيضٌ يَأْتِيهِ عَائِدًا، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ، فَيَسَلِّمُ وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: (كَيْفَ تَجِدُكَ؟) يَعْنِي: كَيْفَ حَالُكَ؟ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: (لَا بَأْسَ، طُهُورٌ إِنْ شَاءَ)

اللَّهُ)، وَلَرَبَّمَا قَالَ: (كَفَّارَةً وَطَهُورًا)، ثُمَّ يَسْأَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ كَانَ يَشْتَرِي شَيْئًا، فَإِذَا ذَكَرَ شَيْئًا يَشْتَرِيهِ وَعَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّهُ أَمْرٌ لَهُ بِهِ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَقِي مَنْ يَمْرُضُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ، وَيَقُولُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسَ، أَشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا)، وَلَرَبَّمَا تَقَلَّ عَلَى أَصْبَعِهِ ثُمَّ وَضَعَهَا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ وَقَالَ: (بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا)، وَلَرَبَّمَا دَعَا فِي مَاءٍ أَوْ قَرَأَ ثُمَّ نَضَحَ بِهِ الْمَرِيضَ، كَمَا فَعَلَ مَعَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

رَأَوْنَاهُ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ فِدَاعًا بِمَاءٍ، فَقَالَ فِيهِ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ نَضَحَنِي بِهِ فَعَقَلْتُ)

أَيُّ: أَفَاقَ مُبَاشَرَةً مِنْ غَشِيَّتِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

(وَيَتَّبِعُ جَنَائِزَنَا)، فِي أَيِّ وَقْتٍ، لِأَنَّهُ أَوَّلَ مَا هَاجَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَ الصَّحَابَةُ إِذَا اخْتَضَرَ أَحَدُهُمْ يَدْعُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْقَنُهُ الشَّهَادَةَ وَيَقُومُ عَلَيْهِ، ثُمَّ لَمَّا كَثُرَ النَّاسُ قَالُوا: نُجْهِزُ مَيِّتَنَا ثُمَّ نَدْعُو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَثُرَ النَّاسُ قَالُوا: نُجْهِزُ مَيِّتَنَا وَنَحْمِلُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَالْآنَ يُوجَدُ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ مِنْ نَاحِيَةِ الْقَبْرِ، مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ خَارِجَ الْحَرَمِ، مُسْتَطِيلٌ مُسَوَّرٌ، فَهَذَا هُوَ مُصَلَّى الْجَنَائِزِ، حَيْثُ كَانَتِ الْجَنَازَةُ تَوْضَعُ فَيُصَلِّيُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

حَدِيثُ الْمَرْأَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ

(وَلَمَّا مَاتَتِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ الَّتِي كَانَتْ تَقُمُ الْمَسْجِدَ، فَكَّرَ الصَّحَابَةُ أَنْ يُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهَا مَاتَتْ فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ، فَغَسَلُوهَا وَصَلُّوا عَلَيْهَا وَدَفَنُوهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. ثُمَّ قَالَ: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا، فَدَلُّوه عَلَى قَبْرِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يُنِيرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ)

(وَيَغْزُو مَعَنَا): وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْغَزْوِ يَسِيرُ بِسَيْرِ الضَّعِيفِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْغَزْوِ يَتَفَقَّدُ النَّاسَ، وَكَانَ فِي الْغَزْوِ يَحُلُّ الْمَشَاكِلَ الَّتِي تَنَشُبُ بَيْنَ النَّاسِ، فَرُبَّمَا تَشَاجَرُ اثْنَانِ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ فِي النَّهَائَةِ بَشَرٌ، فَيُصْلِحُ بَيْنَهُمْ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: لَمَّا تَرَاخَمَ جَهْجَاهُ الْغِفَارِيُّ مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْمَاءِ وَتَدَافَعَا ثُمَّ تَضَارَبَا، وَمِثْلُهُ لَمَّا تَشَاجَرُ أَنْصَارِيٌّ وَمُهَاجِرِيٌّ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِمُهِاجِرِينَ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، فَتَدَافَعَ النَّاسُ، نَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

(أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ)

تَوَاضَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمُؤَاسَاةِهِ لِأَصْحَابِهِ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ
(فَيُؤَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ)، وَلِذَلِكَ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

رَأَوْنَاهُ: أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(كُنْتُ أَجُوعُ حَتَّى أُلْصِقَ كَيْدِي بِالْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، قَالَ: فَتَبِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَوْمًا أَسْأَلُهُ عَنْ آيَةٍ، وَاللَّهُ مَا تَبِعْتُهُ إِلَّا لِيَدْخُلَنِي بَيْتُهُ فَيُطْعِمَنِي، فَأَجَابَنِي ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ، قَالَ: فَرَجَعْتُ فَتَبِعْتُ عُمَرَ أَسْأَلُهُ عَنْ آيَةٍ، فَلَمَّا وَصَلَ بَيْتَهُ -وَعُمَرُ رَجُلٌ لَمَّاحٌ، ذِكِّي- قَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَاللَّهُ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ إِدْخَالِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ، قَالَ: فَرَجَعْتُ لِأُيَيْتَ طَاوِيًا، قَالَ: فَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأَى مَا بِي، فَقَالَ: أَبَا هُرَيْرَةَ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: اتَّبِعْنِي -أَيُّ: تَعَالَ وَرَائِي- قَالَ: فَدَخَلْتُ مَعَهُ، فَإِذَا قَدَحٌ مِنْ لَبَنٍ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: مَنْ أَيْنَ؟ قَالُوا: أَرْسَلَ بِهِ آلُ فُلَانٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَمَا يَصْنَعُ هَذَا الْقَدَحُ بِأَهْلِ الصُّفَّةِ؟! وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدْءٌ، -يَعْنِي: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْدَحَهُ- قَالَ: فَذَهَبْتُ فَدَعَوْتُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ شَبْعَانٌ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْقِهِمْ، فَبَدَأْتُ اسْقِيهِمْ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْقَدَحِ، وَاللَّهُ مَا أَذْرِي أَيْزِيدُ أَمْ يَنْقُصُ؟! ثُمَّ وَضَعْتُهُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: اجْلِسْ أَبَا هُرَيْرَةَ! ثُمَّ أَعْطَانِيهِ، فَقَالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ ثُمَّ مَدَدْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ ثُمَّ مَدَدْتُهُ، فَقَالَ: اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ ثُمَّ مَدَدْتُهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: اشْرَبْ، اشْرَبْ.. حَتَّى قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: فَأَخَذَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمَّى اللَّهَ وَشَرِبَ)

يَعْنِي: مَا عِنْدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ غَرَضٌ فِي الْآيَةِ الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا، لِأَنَّهُ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا، وَلَكِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَمِشِيَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى يَصِلَ مَعَهُ إِلَى الْبَيْتِ، وَفَرِحَ بِالْقَدْحِ! وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ نِصْفُهُ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ النِّصْفُ الْآخَرُ، وَلَكِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: أَذْهَبَ اثْنَتَا بِالْفُقَرَاءِ الَّذِينَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهَذِهِ مُصِيبَةٌ أُخْرَى؛ لِأَنَّ سَائِي الْقَوْمِ آخَرُهُمْ شُرْبًا، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ عُثْمَانَ: (وَيُؤَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ)، وَإِلَّا لَوْ كَانَ غَيْرُهُ وَعِنْدَهُ قَدْحٌ مِنْ لَبَنٍ فَسَيَذْهَبُ عَنْ أَصْحَابِهِ لِيَنْفَرِدَ بِهِ، وَلَكِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَاسِي بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ.

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ الصَّحَابَةَ صِغَارَهُمْ وَكِبَارَهُمْ وَيَمَازِحُهُمْ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا.

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّهُ كَانَ فِي بَيْتِهِ فِي مَهْنَةِ أَهْلِهِ، فَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيَرْفَعُ ثَوْبَهُ وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ.

فَمِنْ الْإِقْتِدَاءِ بِالسُّنَّةِ أَنَّ الْوَاحِدَ فِي الْبَيْتِ يَقُمُ بَيْتَهُ أحيانًا، أَوْ يُصَلِّحُ الْفِرَاشَ أَوْ يَغْسِلُ بَعْضَ الصُّحُونِ أَوْ الْحِلَالِ مَعَ زَوْجَتِهِ، أَوْ يُسَاعِدُهَا إِذَا كَانَ هُنَاكَ تَنْظِيفٌ فَيَنْظِفُ مَعَهَا وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَهَذَا مِنْ الْإِقْتِدَاءِ بِسُنَّةِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الَّذِي كَانَ يَرْفَعُ ثَوْبَهُ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ.

تَوَاضَعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي نَهْيِهِ عَنِ الْمُبَالِغَةِ فِي مَدْحِهِ وَإِطْرَائِهِ

مِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّهُ مَا كَانَ يُحِبُّ الْمُبَالِغَةَ فِي الْمَدْحِ وَالْإِطْرَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ لَمَّا قَالَ لَهُ أَحَدُ النَّاسِ: يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، قَالَ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

(مَهْ! لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)

وَالْقَدِيدُ اللَّحْمُ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

حَدِيثٌ شَرِيفٌ

(لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

حَدِيثُ شَرِيفٍ

(أَنَّهُ صَلَّى بِالنَّاسِ يَوْمًا فَرَأَى رَجُلَيْنِ جَالِسَيْنِ لَمْ يُصَلِّيَا، فَقَالَ: عَلَيَّ بِهِمَا - أَيُّ: اثْنُونِي بِهِمَا - فَجِيءَ بِهِمَا تَرَعْدُ فَرَأَيْتُهُمَا)

لَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَجَلَالَةٌ، مَنْ رَأَاهُ بَدَاهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، قَالَ: (هَوَّنَا عَلَى أَنْفُسِكَا)، يَعْنِي لَا تَخَافَا وَلَا تَجْزَعَا، ثُمَّ قَالَ:

حَدِيثُ شَرِيفٍ

(هَوَّنَا عَلَى أَنْفُسِكَا، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ)

وَمَنْ تَوَاضَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَا كَانَ قَبْلَ نَبِيِّتِهِ، فَيَقُولُ:

حَدِيثُ شَرِيفٍ

(مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَرَعَى الْغَنَمَ، قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ)

وَبَعْضُ النَّاسِ إِذَا بَلَغَ مَنْزِلَةً وَمَكَانَةً لَا يُحِبُّ أَنْ يُظْهَرَ مَا ضَمَّهِ.

وَنَكْتَفِي بِهَذَا، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاسْتَعِينَهُ وَاسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

سورة الأحزاب — آية ٥٦

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَعَنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ. اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصُرْ عِبَادَكَ الْمُوحِدِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ وَالِدَيْنَا وَوَالِدَيِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا. اللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَرِّجْ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفِّسْ عَنِ الْمَهْمُومِينَ، وَأَقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ. اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَارْفَعْ الظُّلْمَ وَالْبَلَاءَ عَنْ إِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بَنَاءَ، وَاجْعَلْنَا سَبِيلًا لِمَنْ اهْتَدَى. اللَّهُمَّ ارْنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَارْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ. اللَّهُمَّ احْفَظْ بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظِ الْبِلَادَ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، وَأَدِّمْ عَلَيْهَا الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ وَالرِّخَاءَ. اللَّهُمَّ وَفِّ الْقَائِمِينَ عَلَى هَذَا الْمَرْكَزِ وَهَذَا الْمَسْجِدِ، وَبَارِكْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَاجْعَلْهُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَذُرِّيَّةً صَالِحَةً.

سورة النحل — آية ٩٠

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

سورة البقرة — آية ١٥٢

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾